

أثر الإحالة في اتساق النص القرآني

د/ زبيدة ساسي

قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات

جامعة باجي مختار-عنابة.

zoubidarss@gmail.com

The effect of reference on the cohesion of the Quranic text

Zoubida Saci

تاريخ الإرسال: 2023/02/25 ؛ تاريخ القبول: 2023/03/15

The effect of reference on the cohesion of the Quranic text

Zoubida Saci

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تطبيق آلية الإحالة النصية على نص قرآني لاستجلاء أنواع الإحالة المتوفرة في النص، والتي تسهم في إعطاء قارئ النص قدرة أكثر على فهمه وتتبع مساره أثناء القراءة. فهي تزيد قوة الترابط والتعلق بين جمل النص، مما يؤكد نصيته لشدة تماسكه وانسجامه. وعليه، طرحت الإشكالية التالية: كيف أسهمت الإحالة في اتساق النص القرآني؟ وما هي أنواع الإحالات المتوفرة في السورة؟
الكلمات المفتاحية: الاتساق-الإحالة--إحالة نصية-إحالة مقامية- سورة الشعراء.

Abstract

This study aims to apply the mechanism of textual reference to a Quranic text to clarify the types of references available in the text, which contribute to giving the reader of the text a greater ability to understand it and to follow his path when

reading. It increases the strength of interdependence and attachment between the sentences of the text, which confirms its text due to its strong cohesion and consistency. Consequently, the following problem was raised: how did the reference contribute to the cohesion of the Quranic text? What types of cross references are available in the Surah?

Keywords: cohesion- reference- endophora -
exophora- surah elsho-ara-

1. مقدمة:

يعد الاتساق أحد معايير النصية التي وضعها دي بوجراند للحكم على نصية أي نص إذ يرى أن نقص أحدها يؤدي إلى انتفاء النصية عن النص وهذه المعايير هي: الاتساق-الانسجام-القبول-القصد-الإعلامية-التناسق-السياق.

ومصطلح الاتساق عند هالداي ورقية حسن يشير إلى «الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب ضمن الجملة أو بين الجمل، ولا سيما الاستبدالات التركيبية التي تحافظ على هوية المرجع، ولكنها تحافظ أيضا على التوازي وعلى التكرار أو على الحشو» (ديكرو، دت، ص 540). ويقول دي بوجراند إنه: «يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي» (دي بوجراند 1998 ص 103) كما يتضمن الاتساق «بشكل مستمر مبدأ الاختزال الذي بواسطته تسمح لنا اللغة بتكثيف رسائلنا متقين بذلك التعبير المكرر عن الأفعال المعادة» (محمد خطابي، المغرب. 2006 . ص 229).

فالانساق يتحقق من خلال العلاقات النحوية والمعجمية التي تربط العناصر البانية لسطح النص، والتي تؤدي إلى التتابع الخطي والترابط بين أجزاء النص.

وهو نوعان: اتساق نحوي يتضمن: الإحالة-والربط-والاستبدال-والحذف.

واتساق معجمي يتضمن: التكرار-والتضام.

والإحالة أحد آليات الاتساق النحوي الذي يضمن للنص ترابطه على المستوى السطحي. وهي الآلية التي اخترت تطبيقها على سورة الشعراء (مكية- عدد آياتها 227) بالتفصيل.

وهذا البحث يهدف إلى الإجابة على الإشكالية الآتية: هل حققت الإحالة النصية الاتساق بين مختلف العناصر الإشارية البانية لسطح النص؟ وما هو عدد الإحالات وأنواعها المتوفرة في السورة الكريمة؟

2. الإحالة:

الإحالة من أهم وسائل الاتساق النصي وأكثرها انتشارا في أي نص، فهي «علاقة دلالية تخضع لقيود أساس وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه» (محمد خطابي، المغرب. 2006. ص 17) لأنّ العناصر الإحالية «لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من خلال تأويلها. وتتوفّر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة» (محمد خطابي، المغرب. 2006. ص 17)، فهذه العناصر الإحالية (كالضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة) هي التي تحيل إلى عنصر مذكور في أجزاء النص. «فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر» (الأزهر الزناد 1993 ص 118) لكن «لا ينز» (...) يتساءل حول من يقوم بهذه الإحالة، فيرى أنّ «المتكلم هو الذي يحيل باستعماله لتعبير مناسب أي أنّه يحمل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة.» (براون ويول، د.ت، ص 36)

1.2. أنواع الإحالة:

يقسّم الباحثان هاليداي ورقية حسن الإحالة إلى نصية ومقامية:

أما المقامية (exophora) فهي تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم (...) في اتساقه بشكل مباشر. (محمد خطابي، المغرب 2006 ص 17) وهذا النوع من الإحالة يسميه دي بوجراند الإحالة لغير مذكور حيث تعتمد في الأساس على سياق الموقف (contexte) شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور سابق (anaphora) والإحالة لتأخر (cataphora). وإذا كان معنى مفهوم ما هو موقعه في عالم النص فإن معنى المرجع في الإحالة لغير مذكور (exophora) هو مكانه في عالم النص مع التركيز على عالم الموقف الاتصالي. (دي بوجراند 1998 ص 332)

وأما النصية (endophora) وهي التي يركز عليها الباحثان معيارا للإحالة فهي التي يمكن أن تحيل إلى السابق أو إلى اللاحق (محمد خطابي، المغرب 2006، ص 17) وتقسّم بدورها إلى:

- إحالة إلى السابق أو إحالة داخلية قبلية أو الإضممار بعد الذكر (anaphora): وهو نوع من الإحالة المشتركة يأتي فيه الضمير بعد مرجعه من النص السطحي. (دي بوجراند، 1998 ص 301). مثل قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (45) فالهاء في (عصاه) تعود على مرجع سابق هو (موسى) و (هي) تعود على مرجع آخر سابق هو (العصا). فهذه العوائد الإشارية واحدة من الطرائق الرئيسية التي تمكن الناطق (المخاطب) من تأسيس التلاحم والاستمرار بين الجمل في النص والحفاظ عليه. (برونوين ماتن، القاهرة 2008، ص 39)

- إحالة داخلية بعدية أو إضممار قبل الذكر (cataphora): وهو نوع من الإحالة المشتركة يأتي فيه الضمير قبل مرجعه من النص السطحي. (دي بوجراند، 1998، ص 301) كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (155) فاسم الإشارة (هذه) يحيل إلى المرجع اللاحق به (ناقة). وهو سابق عليه، لذا تُرجم هذا المصطلح (cataphora) بـ المؤشر الاستباقي.

2.2. عناصر الإحالة:

الضمائر: وهي نوعان:

- ضمائر منفصلة: مثل: أنا - أنت - أنتم - هو - هم.

- ضمائر متصلة: مثل: الياء - الكاف - الهاء - هم.

- ضمائر مستترة: وهي ضمائر تعود على الشخص (الغائب)

- أسماء الإشارة: مثل: هذا - ذاك - هؤلاء .

- الأسماء الموصولة: مثل: الذي - التي - الذين.

وما تحيل إليه هذه العناصر يسمى المرجع أو المفسّر أو العائد. فهذا المفسّر كما يرى دومنيك منغينو ﴿ يمكن أن يحدّد العائد باعتباره إقامة علاقة تأويلية في ملفوظ أو عدد من الملفوظات بين مقطعين على الأقل توجّه أولاهما تأويل الأخرى أو الآخر. ﴾ (دومنيك منغينو ، 2008، ص 48)

وهناك تصوران للعائد: تصوّر نصّي وتصور عرفاني.

- أما التصور النصي فيحدد العبارة العائدية أنّ ﴿ تأويلها المرجعي رهين عبارة (أو عبارات) واردة في النص تسمّى بصفة عامة مفسّراً. ﴾ (دومنيك منغينو ، 2008، ص 48)

- وأما التصور العرفاني فإنه ﴿ يعتمد على معيار البروز المسبق، فالمرجع معروف لدى المخاطب لأنه حاضر في الذاكرة المباشرة (...) يمكن للبروز المسبق أن يوفّر النص المصاحب، أو المقام أو ما تشترك فيه الأطراف المعنية، لكن ينبغي هنا أيضا أن تؤخذ بعين الاعتبار البنية المعجمية الدلالية للمقاطع المتواجدة. ﴾ (دومنيك منغينو ، 2008، ص 49)

3. الإحالات المتوفرة في السورة:

برزت في السورة عدّة إحالات لغوية بيّنت أنّ العناصر البانية للسورة لا تستطيع أن تفسّر لوحدها كل الخطابات الداخلية بل لا بد من وجود عناصر لغوية أخرى تحيل إليها كي تمنع عنها التكرار الممل؛ هذه العناصر هي الضمائر الوجودية متصلة ومنفصلة، وأسماء الإشارة،

والأسماء الموصولة. فعملية التبادل بين الضمير والمفسر (الحيل إليه) هي التي ساهمت في تماسك السورة وانسجامها. فلا يمكن الاستغناء عن أحدهما. فلو استغنينا عن الضمير لكان النص مليئا بتكرار لا فائدة منه مما يؤدي إلى ركاسة الأسلوب؛ ولو استغنينا عن المفسر لأبهم على القارئ فهم النص لتفككه وعدم وضوحه. فغياب أحدهما يقضي عملية الاتساق والانسجام القائمة داخل السورة وينفي عن النص نصيته (لا نص).

وقد بلغ عدد الإحالات النصية في سورة الشعراء ستمائة وست وثلاثين إحالة توزعت كالآتي:

- أما الإحالة بالضمائر المتصلة فأدواتها هي: (الكاف - الواو واو الجماعة - الهاء - النون نون المتكلم - الياء - ألف الاثنين - الميم الجمعي للمخاطب - هم - التاء - هما). وقد بلغت في النص أربعمئة واثنين وثلاثين إحالة ضميرية متصلة. ففي مثل قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (3) *إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ* (4) أحالت الكاف في (لعلك - نفسك) إلى مخاطب غير مذكور في النص وهو سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وهذه الإحالة القبلية تستدعي من المتلقي إعمال فكره في التعرف إلى هذا المخاطب. فلو علم أن القرآن الكريم كالسورة الواحدة - على رأي المفسرين - وأنه نزل على سيدنا محمد ﷺ صلى الله عليه وسلم - لأدرك أن هذه الكاف تعود عليه وحده، لأنه المقصود بهذا الخطاب. وجاءت الإحالة خارجية لأن مفسرها عُرف من خلال السياق الخارجي ومن أسباب النزول.

عاد الضميران (واو الجماعة - وهو) في (يكونوا - عليهم - أعناقهم) على المشركين من قومه، ولم يرد ذكرهم صراحة في هذه السورة. فهي إحالة خارجية تعرف من خلال السياق والقرائن الحالية وأسباب النزول. وقد أحيل إليهم بضمير الغيبة الجمعي (هم) تحقيرا لشأنهم وعزوا عن ذكرهم لما فعلوه بسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - حتى قال له عز وجل ﴿

لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ﴿ وَيَخْعُ النَّفْسُ قَتْلَهَا ﴾ (سيد قطب ، مصر 1988 ص 2584) وإهلاكها من شدة الحزن.

وأما الضمائر المستترة فأدواتها هي (نحن - أنت - هو - أنا - هي) وقد بلغت في النص مائة وست عشرة مرة، ففي مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ شَأْنُنْزَلُ عَلَيَّهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4)﴾ فقد أحال الضمير المستتر (نحن) في (نشأ - ننزل) إلى لفظ الجلالة والذي ذكر لاحقا بلفظ (الرحمن) غير أن الإحالة تبقى قبلية خارجية لأنه مذكور في السور السابقة، ولفظ الجلالة هو محور النص والعنصر الرئيس في بنائه.

وأما الإحالة بالضمائر المنفصلة والتي أدواتها: (أنا - نحن - أنت - أنتم - هو - هي - هم) فقد بلغت في النص خمسا وثلاثين إحالة. ففي مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)﴾ فقد أحال الضمير المنفصل (هو) الوارد في التعقيب الذي يختم الجزء الأول من السورة وباقي أجزاء القصص المذكورة فيها، إلى لفظ الجلالة. كما عاد الضمير (أنتم) في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166)﴾ على قوم سيدنا لوط - عليه السلام - وجاء متصداً الجملة. ﴿هذا التصدير تعظيماً لقبح فعلهم وتنبهاً على أنهم مختصمون بذلك.﴾ (أبو حيان الأندلسي ، بيروت 1983. ص 36)

وأما أسماء الإشارة فهي أيضاً مصدر رئيسي للإحالة وتمت بـ: (تلك - ذلك - هذا - هؤلاء - هذه) وبلغ عددها في النص سبع عشرة إحالة. وردت في مثل قوله تعالى: ﴿طَسْم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2)﴾ فأحالت (تلك) إلى الآيات اللاحقة، وهي إحالة بعدية. يقول الزمخشري: ﴿آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة (تلك آيات الكتاب المبين)﴾ (الزمخشري، مصر ، ص 348). والكاف المتصلة بـ(تلك) يقول ابن عاشور هي للخطاب وهو ﴿خطاب معين من كل متأهل لهذا التحدي من بلغائهم.﴾ (ابن عاشور ، تونس ، ص 92) وأما الإحالة بالأسماء الموصولة فتمت بـ: (التي - الذي - الذين - ما - من)، وبلغ عددها في النص ست وثلاثين إحالة. ففي مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي

وَيَسْتَقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) فقد أحال الاسم الموصول (الذي) إلى لفظ الجلالة (الله) والذي ربط مجموعة من الجمل فجعلها كتلة واحدة تصب في معنى واحد هو الدّعاء من سيّدنا إبراهيم - عليه السلام -.

1.3. العناصر الإشارية:

ومن خلال الجداول التي وضعناها لتحديد المحيل والمحيل إليه لاحظنا أنّ هناك عناصر إشارية أساسية أحيل إليها أكثر من مرة، وفي المقابل هناك عناصر إشارية ثانوية أحيل إليها بضع مرات فقط لأنها جاءت لتخدم الغرض العام للنص وهي:

1.1.3. العناصر الإشارية الأساسية:

- تصدر لفظ الجلالة سلسلة الإحالات المهيمنة على النص وبلغت خمسا وثلاثين مرة، وهو العنصر الأساس لأنه الملقى لهذا الخطاب، فأحيل إليه:

بالضمير المنفصل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (9)

بالضمير المتصل في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ (52)

بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (78)

- أما العنصر الإشاري الأساسي الثاني في النص فهو سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو المتلقي الأول للخطاب، وأحيل إليه بالضمير المتصل كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ (219)﴾

- المشركون: وهم الذين يدور حولهم الخطاب. وهذا اللفظ أحيل إليه أكثر من أي لفظ آخر، لأنه أطلق على الذين كفروا بالله وجعلوا له شريكا في الملك، وأعرضوا عن الرسل واستهزؤوا بهم، مع اختلاف زمانهم ومكانهم والرّسول الذي بُعث إليهم. لذلك كانت الإحالة بالضمائر المختلفة أكثر من غيرهم. يقول إبراهيم الفقي: ﴿وهذا أمر طبيعي فالله واحد لا شريك له، والرّسل كلّهم دعوة واحدة، والمؤمنون كلّهم طائفة واحدة، لكنّ المشركين ملل وطوائف كثيرة،

وعدهم أكثر، وما فعلوه من تكذيب وسخرية واستهزاء وإعراض وكفر، هذا كله يحتاج إلى ردّ كثير على افتراءاتهم المتعدّدة، ومن ثمّ كانت الضمائر أكثر. ﴿صَبَحِي إِبْرَاهِيمَ الْفَقِي، القاهرة 2000 ص189﴾ وبلغ عدد الإحالات على هذا اللفظ مائة وسبعا وثمانين مرة، نذكر منها قوله تعالى:

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (6)

﴿قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ آلَا نَسْتَمِعُونَ﴾ (25)

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾

2.1.3. أما العناصر الإشارية الثانوية فتمثلت في الأنبياء المذكورين في جسم السورة، ومنها: سيدنا موسى - عليه السلام - الذي أحيل إليه سبعا وخمسين مرة. في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (14) فقصة سيدنا موسى - عليه السلام - مع فرعون (أحيل إليه اثنين وعشرين مرة) احتلت حيزا معتبرا من النص حيث امتدّت من الآية (10) إلى الآية (68)، لذلك كانت الإحالة لهذا النبي أكثر من غيره من الأنبياء. ونذكر عدد الإحالات إليهم على التوالي:

أحيل إلى سيدنا هارون مع موسى - عليه السلام - ست مرّات.

أحيل إلى سيدنا إبراهيم - عليه السلام - اثنين وعشرين مرة.

أحيل إلى سيدنا نوح - عليه السلام - واحدا وعشرين مرة.

أحيل إلى سيدنا صالح - عليه السلام - ثمان مرّات.

أحيل إلى سيدنا لوط - عليه السلام - ثلاث عشرة مرة.

أحيل إلى سيدنا شعيب - عليه السلام - تسع مرّات.

فهذه الإحالات تخدم موضوع النص، ومثال ذلك قصة سيدنا موسى - عليه السلام - في هذا النص. فالتعصّران الإشاريان (موسى - عليه السلام - وفرعون) هما طرفا القصة المتنازعان، وعندما يُحال إلى نبي من بني إسرائيل ست عشرة مرّة والسحرة واحدا وثلاثين مرّة يكتمل

المشهد الذي يرسم لنا صورة السحرة المعينين لفرعون على موسى بما أتوا من حبال وعصي ليسحروا بها أعين الحاضرين، والعصا التي كانت معجزة موسى - عليه السلام - والتي تلقفت ما يأفكون. أما بنو إسرائيل فكانوا ما تنازع عليه الطرفان بعد الإيمان بالله، إذ طلب موسى من فرعون أن يرسل ويطلق معه بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16)﴾.

فلاحظ أن كثرة الإحالات - على رأي براون ويول - تسهم في فهم موضوع النص، ﴿فليس مضمون النص مجرد قائمة من المراجع، فالعلاقات التي يقيمها النص بين المراجع هي جزء مهم من المضمون.﴾ (براون ويول ، دت ، ص 241)

4. التحليل:

ونفصل هذه الإحالات كالآتي:

أما لفظ الجلالة ﴿الله﴾ فقد أحيل إليه بـ:

- الضمائر المتصلة في: أنبتنا (7) - بآياتنا (15) - إنا (15) (16) - أوحينا (52) - أزلنا (64) - فأخرجناهم (57) - أورثناها (59) - فأوحينا (63) - أنجينا (65) - غرقنا (66) - بعبادي (52) - فأنجينا (119) - أغرقنا (120) - فأهلكناهم (139) - فنجينا (170) - دمّرنا (172) - أمطرنا (173) - نزلناه (198) - سلكتنا (200) - أفعذابنا (204) - متّعناهم (205) - أهلكنا (208) - كنّا (209) - إنه (220)
- الضمائر المستترة في: نشأ (4) - ننزل (4) - فأرسل (13) - قال (15) - جعلني (21) - سيهدين (62) - خلقي (78) - يهدين (78) - يطعمني (79) - يسقين (79) - يشفين (80) - يميتني (81) - يحيين (81) - يغفر (82) - هب (83) - ألحقني (83) - اجعل (84) - واجعلي (85) - اغفر (85) - لا تخزني (87) - فافتح (118) - نجّي (118) - أمذكّم (132) - نجّي (169) - خلقكم (184) - يراك (218) - أنيئكم (221).

-الضمائر المنفصلة : أحال الضمير المنفصل ﴿هو﴾ على لفظ الجلالة ﴿الله﴾ في كامل السورة ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)﴾، والآيات التي ورد فيها هي كالآتي: (9-68-78-79-80-104-122-140-159-175-191-220)

-الاسم الموصول: أحيل إليه بـ﴿الذي﴾ سبع مرّات في الآيات الآتية: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ (77)﴾ الذي خلّقني فهو يهديني (78) والذي هو يطعمني ويسقيني (79) وقوله: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81)﴾ والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (82) وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132)﴾ وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ (184)﴾ وقوله: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218)﴾

ونلاحظ أن الإحالات في (نشا) و (نزل) والتي مرجعها لفظ الجلالة هي إحالة قبلية خارجية لأن لفظ الجلالة مذكور سابقا خارج هذه السورة، أما باقي هذه الإحالات فهي قبلية داخلية لأن مرجعها ذكر بإحدى صفات الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5)﴾ ولفظ الجلالة هو محور النص والعنصر الرئيسي في بنائه، فهو الملقي لهذا الخطاب.

أما الإحالة إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -: وهو المقصود الأول بهذا الخطاب فتّمّت في الكلمات الآتية: لعلك (3) - ربك (10) - ربك (9-68-122-140-159-175-191) - قلبك (194) - أفرأيت (205) - عَشِيرَتُكَ (214) - جناحك (215) - عصوك (216) - إني (216) - يراك (218) - تَقْلُبُكَ (219) / اتلُ (أنت) (69) - لتكون (أنت) (194) - فقرأه (هو) (199) - تدع (أنت) (213) - فتكون (أنت) (213) - أنذر (أنت) (214) - اخفض (أنت) (215) - فقل (أنت) (216) - فتوكل (أنت) (217) - تقوم (أنت) (218) - ألم تر (أنت) (225).

وجاءت الإحالة إلى هذا المفسر إحالة قبلية خارجية، لأنه مذكور سابقا لكن في غير هذه السورة.

أما لفظ المشركين: فقد أحيل إليه من بداية النص حتى نهايته. ولكثرة إحالاته سنكتفي بذكر بعضها.

-بالضمير المتصل: في الكلمات التالية:

أعناقهم (4) - ألم يروا (7) - خفتكم (21) - فاتبعوهم (60) - يسمعونكم (72) - فكذبوا (94) - كذبون (117) - أتبنون (128) - فعقروها (157) - أتأتون الذكران (165) - أوفوا الكيل (181) - عصوك (216) - يهيمون (225) - ينقلبون (227).

-بالضمير المنفصل: في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ (39) وقد أحال ﴿أنتم﴾ إلى الذين أشركوا وكذبوا بسيدنا موسى (عليه السلام) وهو قوم فرعون. وأيضا في: ﴿فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (94) حيث أحال ﴿هم﴾ إلى الذين أشركوا من قوم سيدنا إبراهيم (عليه السلام).

-بالاسم الموصول: في قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (227) حيث أحال ﴿الذين﴾ إلى كل من أشركوا بما جاء به نبيهم.

أما موسى (عليه السلام): فقد أحيل إليه بـ:

-الضمائر المتصلة والمستترة:

-كاف الخطاب الموجّه من فرعون في: نربك - عمرك - فعلتك - لأجعلتك.

-الهاء المتصلة في: عصاه (2) - يده - بسحره - أخاه - له - إنه - معه - أرجه.

-نون المتكلم المتصلة: حيث خاطبه الله عز وجل مع أخيه هارون فجمعتهم هذه النون في: إنا - معنا.

-الياء المتصلة (ظاهرة ومحدوفة) في: رب - إني - يكذبون - علي - يقتلون - لي - ربي - جعلني - معي - سيهدين.

-ألف الاثنين العائدة عليه وعلى أخيه هارون معاً في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ (15) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) وكذلك في (معكم).

-التاء المتصلة الدالة على المتكلم والمخاطب في: لبثت- فعلت (2) -فعلتها-ففررت-خفتكم-
اتخذت- جئتكم- كنت.

-الضمائر المستترة الدالة على المتكلم والمخاطب والغائب، ب: (أنت - أنا - هو) في: إيت -
قال (7مرات) - أخاف (2) - أرسل - فأت - فألقى - نزع - يريد - يخرجكم - علمكم -
إسر - إضرِب.

-الضمائر المنفصلة: أحيل إليه ب (أنا) و (أنت) في قوله تعالى:

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19)﴾

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20)﴾

وهنا تحول الخطاب من عهد حضوري إلى عهد ذكري، إذ جاء حكاية القرآن للرَسُول موسى
(عليه السلام) مع فرعون.

-الإحالة بالاسم الموصول: ورد مرة واحدة وأحيل ب (الذي) في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ
الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27)﴾

-الإحالة باسم الإشارة: أحيل إليه ب (هذا) أثناء توجيه فرعون تهمة السحر له، في قوله تعالى:
﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34)﴾

وكل الإحالات إلى العنصر الإشاري (موسى عليه السلام) هي إحالات داخلية قبلية لأن
مفسرها ذكر قبلا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10)﴾ وتفاوت
مدى الإحالة بين:

-قرينة المدى في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45)﴾، فالهاء
العائدة على (موسى عليه السلام) وردت في نفس الجملة.

-وبعيدة المدى كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12)﴾، حيث يحيل الضمير
المستتر في (قال) و (أخاف) والضمير المتصل (الياء) في (إني) إلى المفسر (موسى) المذكور في
الآية (10).

- أما فرعون: فقد أحيل إليه بالضمائر المتصلة والمستترة فقط وهي:
- الكاف في: جثثك (30) - يأتوك (37). -الهاء في حوله (25) و (34).-الياء في غيري (29).-الناء في (22).
- الضمائر المستترة (أنت - هو - النون - أنا) في الكلمات: أرسل -قال (8مرات) - نربك - تمثها - لأجعلتك - أرجه - إبعث - آذن - لأقطعن - لأصلبكنم.
- وكل إحالاته داخلية قبلية، ذكر مفسرها (فرعون) سابقا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11)﴾
- أما بني إسرائيل: فقد أحيل إليهم بـ:
- الضمير المتصل (هم) في: إنهم (55) - فأتبعوهم (60)
- الضمير المتصل (نون المتكلم) في: إنا (61)
- الاسم الموصول (من) في قوله تعالى: ﴿وَأَلْبِغْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65)﴾
- اسم الإشارة (هؤلاء) حين وصفهم فرعون بالشرذمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54)﴾
- وهي أيضا إحالات على السابق ذكره في الآية (17) بقوله تعالى: ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17)﴾
- أما السحرة: فأحيل إليهم في الآيات التالية: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ (40) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُتَّقِينَ (42) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُمْ مُلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44)﴾، فأحيل إليهم بواو الجماعة، ونون المتكلم، وضمير الجمع الغيبي (هم)، والضمائر المنفصلة (هم ونحن)، فأحيل إليهم بواو الجماعة، ونون المتكلم، وضمير الجمع الغيبي (هم)، والضمائر المنفصلة (هم ونحن)، فأحيل إليهم بواو الجماعة، ونون المتكلم، وضمير الجمع الغيبي (هم)، والضمائر المنفصلة (هم ونحن). كما تحوّل الخطاب على

سبيل الحكاية وهي حكاية القرآن لهؤلاء السحرة باستعمالهم لضمير المتكلم (النون المتصلة، ونحن) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47)﴾ و: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50)﴾ و: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51)﴾. كما يتحوّل الخطاب والمخاطب على سبيل الحكاية إلى فرعون والسحرة في قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبْنَكُمْ أَجْمَعِينَ (49)﴾. وهذه الإحالات كلّها داخلية قبلية، ذكر مفسرها في قوله تعالى: ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38)﴾.

-أما سيدنا إبراهيم (عليه السلام): والذي ابتدأت قصته مع قومه من الآية (69) إلى الآية (104) فقد أحيل إليه في الآيات (70-72-75-77... إلى 87) بالضمائر المختلفة.
-الياء المتصلة (المحذوفة أو الظاهرة) والتي تعود على المتكلم في: لي (4مرات) - خلقي - يشفين - يميتني - يحيين - خطيئي - ألحقني - إجعلني - لأبي - لا تخزني - يطعمني - يهديني - يسقين.

-الهاء والتاء في: لأبيه - قومه - مرضت.

-الضميرين المستترين (هو - أنا) في: قال (3مرات) - أطمع.

وهي إحالات داخلية قبلية ذكر مفسرها في قوله تعالى: ﴿وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ (69)﴾

-أما سيدنا نوح (عليه السلام): فإحالاته من الآية 105 إلى الآية 122 في الكلمات الآتية:
إني - أطيعون (2) - أسألكم (أنا) - أجري - لك - اتبعك - قال (هو) (2) - بيني - نجني - قومي - كذبون - معه - معي - فأثميناه.

كما أحيل إليه بالضمير المنفصل (أنا) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114)﴾ إن أنا إلّا نذير مبين (115) وهي أيضا إحالات على سابق ذكر في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحُ أَلَا تَتَّقُونَ (106)﴾

-أما سيدنا هود (عليه السلام): فقد أحيل إليه في نطاق الآيات من 123 إلى 140. وتمت هذه الإحالات بـ:

-الضمائر المتصلة في: إني (2) - أطيعون (الياء المحذوفة) (2) - أجري - أوعظت - فكذبوه.
-الضمائر المستترة في: ما أسألكم (أنا) - أخاف (أنا) - تكن (أنت).

وقد ذكر مفسر هذه الإحالات في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُوذُ أَلَا تَتَّقُونَ (124)﴾

-أما سيدنا صالح (عليه السلام): فقصته تبدأ من الآية 141 إلى الآية 159. وقد أحيل إليه في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ (145)﴾ بالضمير المتصل (الياء) في (إني، أجري، أطيعون، والضمير المستتر (أنا) في أسألكم.

كما أحيل إليه بالضمير المنفصل في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154)﴾ والمفسر في هذه الإحالات مذكور سابقا في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142)﴾

-أما سيدنا لوط (عليه السلام): فقصته تبدأ من الآية 160 إلى الآية 175، وأحيل إليه بالضمائر:

-الضمير المتصل (الياء) في: إني - أطيعون - أجري - رب - نجني - أهلي.

-الضمير المتصل (هاء) في قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170)﴾.

-الضمير المستتر: ما أسألكم (أنا) - لتكونن (أنت) - قال (هو).

وهي إحالات داخلية قبلية ذكر مفسرها في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161)﴾

-وأما سيدنا شعيب (عليه السلام): والذي نبتدئ قصته من الآية 176 إلى الآية 191، فقد أحيل إليه بـ:

-الضمير المتصل في: إني - أطيعون (ياء محذوفة) - أجري - نظنك - كنت - ربي - فكذبوه.

-الضمير المستتر في: أسألكم (أنا) - فأسقط (أنت) - قال (هو).
-باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185)﴾ و: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186)﴾
وكل هذه الإحالات تعود على المفسر المذكور سابقا في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تُتَّقُونَ (177)﴾

-أما لفظ الشعراء: فقد أحيل إليه في الآيات الأخيرة من السورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226)﴾ وهي إحالة إلى الشعراء المشركين، أما الإحالة إلى الشعراء المؤمنين ففي قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)﴾ فأحيل إليهم بضمير الغيبة الجمعي وواو الجماعة وهي إحالة قبلية مفسرها ذكر في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224)﴾، أما الشعراء المؤمنون فأحيل إليهم بالاسم الموصول، وهي إحالة بعدية يفسرها ما جاء بعد الاسم الموصول، وكانت كل الإحالات بالضمير المتصل (واو الجماعة).

أما العناصر الإشارية التي أحيل إليها أقل من ثلاث مرّات فهي أيضا بانية للنص وتخدم الغرض من هذا النص، نذكر منها:

-الضمير المتصل (هما) في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ (24)﴾. أحال إلى (السموات والأرض) ويمثلان حجة سيدنا موسى -عليه السلام- أمام فرعون حول ماهية ربّ العالمين؛ فإن لم يستطع التصديق بما جاء به موسى، فليتنظر حوله إلى هذين العنصرين الكونيين (ما فوقه وما تحته) لعله يدرك أن هناك إلها واحدا لهذا الوجود.
-الضمير المتصل (الهاء) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5)﴾ وقوله أيضا: ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ (157)﴾. فالهاء الأولى تحيل إلى كلمة الذكر وهي إحالة قبلية داخلية، وتمثل هذه الكلمة الدعوة إلى الإيمان بوحداية الله ونبذ الشرك،

فهي محور كل رسالة. والهاء الثانية تحيل إلى ناقة سيدنا صالح -عليه السلام-، فهي تمثل معجزته أمام قومه (ثمود) لعلهم يتقون، فهذه الإحالة تكمل رسم مشهد القصة. فكل إحالات هذه العناصر الإشارية تمت من قريب أو من بعيد للعنصر الإشاري الرئيسي في النص (لفظ الجلالة)، إذ ترتبط به لأنه خالقها.

5. الخلاصة:

بعد تطبيق آلية الإحالة على السورة خلص البحث إلى النتائج التالية:

- زيادة الإحالات يقلل من استقلالها بنفسها لاعتمادها على غيرها في الفهم مما يزيد قوة الترابط والتعلق بين جمل النص وهذا ما يؤكد نصيبته بشدة تماسكه وانسجامه.

- لاحظنا التطابق بين الضمير (المتصل) ومرجعه من حيث الجنس والعدد مع استثناء في الضميرين (نحن - المستتر ونا - المتصل-) حيث استخدمنا للمفرد وهو لفظ الجلالة تعظيما وإجلالا.

- تنوعت الضمائر المنفصلة بين ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، وقد بلغ تواترها في السورة 35 مرة. كما تنوعت أسماء الإشارة والأسماء الموصولة فبلغت 53 اسما.

- فكثرة الإحالات يقوّي الترابط بين أجزاء النص ويوضح فكرة النص خاصة أنّ الإحالات المتوفرة في السورة كانت إحالات متقاربة تسهل على المتلقي الرجوع بسهولة إلى ما تحيل إليه. وهذا ما يجعله أكثر فهما وتتبعاً لمسار النص أثناء قراءته.

- تنوع الإحالات بين الضميرية (المتصلة والمنفصلة) وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة عزز وقوى من وضوح النص وساهم في تماسكه وانسجامه وجعله لحمة واحدة فجئبتنا التكرار.

- رأينا أنّ كلا العائدين (العائد على السابق أو على اللاحق) يؤديان إلى الاستمرارية النصية ويشكلان تماسكا وانسجاما داخل النص.

- أثناء التحليل تعدّر علينا أحيانا معرفة مرجع الضمير المتصل، وهذا راجع ربما لاختلاف التفاسير. ففي قوله تعالى: ﴿فكذبوا فيها هم والغاوون﴾ فقل إن الضمير (واو الجماعة في

كيبكوا) ربما يعود على الأصنام وربما على الكفار، إلا أن ازدواجية المرجع لم تؤثر على انسجام النص.

-إن التوظيف المتميز لضمائر الملكية والنسبة للحاضر والغائب مبرز للقارئ بين أدوار الكلام التي تنتمي إليها هذه الضمائر. فكانت بالفعل أهم وسائل الاتساق النصي.

قائمة المراجع:

1. أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 1983.
2. الأزهر الزناد: نسيج النص، (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا). المركز الثقافي العربي. ط1. 1993.
3. براون ويول: تحليل الخطاب، تر. محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي. النشر العلمي والمطابع. الرياض، د.ت، د.ط.
4. برونوين مانت-فليزيتاس رينجهام: معجم مصطلحات السيميوطيقا، ترجمة: محمد بريري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2008.
5. دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان. عالم الكتب. ط1. 1998.
6. دومنيك منغينو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر. محمد يحياتن: منشورات الاختلاف، ط1، 2008.
7. ديكرو: القاموس الموسوعي الجديد، د.ت.
8. الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شرح يوسف الحمادي، مكتبة مصر.
9. سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط15، 1988.
10. صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي (بين النظرية والتطبيق) دار قباء، القاهرة، ط1، 2000.

11. محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي.

المغرب. ط. 2. 2006

12. ابن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج 19.